

السلوك الأمثل لمعالجة الأزمات المالية



هناك طريقتان لعلاج الأزمات المالية كلاهما يقود إلى كارثة: طريق التجاهل التام، وطريق الذعر الحاد.

طريق التجاهل:

إذا تعلمت مع الواقع باعتبار أن شيئاً لم يكن فسيصيبك أكبر قدر من الضرر. ربما كانت شركتك أو بلدك أو صناعتك واقعة جغرا فيهاً أو نفسياً في المنطقة الأقل تضرراً من الكارثة، ولكن هذا لا يعني أنها لن تطولك. ربما لا تكون قد تأثرت بشكل مباشر بالأزمة، ولكن من المؤكد أن عدداً من عملائك قد تأثر بها .. فإذا قرر هؤلاء العملاء خفض نفقاتهم فستتأثر، وربما يكون عدداً من مورديك قد تأثر بها، وهذا سيؤثر على قدرتهم بالوفاء باحتياجاتهم، وربما يكون عدداً من منافسيك قد تأثر، فدفعه هذا التأثر إلى خفض الأسعار أو تأجيل الدفع... فكس ميزة تنافسية لا تستطيع أن تجاريه فيها، وهذا كله سيصيبك بالضرر.

طريق الذعر:

وكذلك إذا تصرفت بتهور وانتابتك - كما حدث مع مئات الشركات الأخرى - حمى تخفيض النفقات أو الاستغناء عن الموظفين أو إيقاف خطط التطوير. إذا استمرت الشركات في التفكير بهذه الطريقة فإن الخسارة ستكون كارثية، وعلى أصحاب العمل أن يفكروا بقدر أكبر من الروية، وعلى رجال الإعلام أن يتسموا بقدر أكبر من المسؤولية. في مقالة لتوomas فريدمان أسرف فيها في التشاؤم حتى أنه كتب أنه "هم" بأن يقوم إلى مجموعة من الشباب يأكلون في مطعم ويحاطبهم قائلاً: "كلوا في بيوتكم فعداً لن تملكون ثمن هذا العشاء، وقال لهم: اطلبوا من النادل أن يجمع لكم بقية الطعام، فعداً لن تجدوا في بيوتكم ما تأكلونه". إن "أثر مثل هذه الرسائل كارثي، وإذا استجاب لها أصحاب الأعمال فخفضوا العمالة خوفاً من المستقبل فهذا يعني أنّهم يقتلون أنفسهم بأنفسهم. ولو فكر صاحب العمل بهذه

لوجد أن ما سيقوم بتنفيذه من رواتب العاملين خلال فترة الأزمة أقل بكثير من الخسارة التي ستتكتبد بها شركته بسبب انخفاض ولاء زملائهم، وسيضطر إلى دفع أضعاف أضعافها لاستعادة الكفاءات التي خسرها خلال الأزمة، وخسر ولاءها وخسر معرفتها التي تكونت عبر السنوات.

إذن ما هو السلوك الرشيد في التعامل مع الأزمة؟

ليست هناك وصفة جاهزة ولكن هناك مبادئ عامة، ونتائج عملية.

فيما يخص المبادئ، فإن القاعدة الذهبية هي: لا تتمادى في التجاهل، ولا تبالغ في التخوف. وتعامل بأكبر قدر من الحساسية والوعي وسرعة الاستجابة. وتخلى عن كلّ "أشكال الاسترخاء والترهل وتأجيل القرارات الحاسمة. هذا يجب أن يتم فوراً كوقاية أولية، وبعد ذلك:

اصرف غاية جهدك وأنفق معظم وقتك في البحث عن طرق إبداعية للخروج من الأزمة ليس بأقل قدر من الخسائر، ولكن بأكبر قدر من المكاسب. وكما يقول هانibal القائد العسكري المظفر: "إبحث عن طريق، فإذا لم تجد اصنع واحداً".

ستوفر لك الأزمة غطاء جيداً لاتخاذ العديد من القرارات الصعبة والضرورية التي تأخرت أو تأثرت اتخاذها ببعض المواقف العاطفية. كما ستتوفر لك الأزمة جواً مهيناً لطلب المزيد من الانصباط والجدية من موظفيك، وسترفع قدر الشعور بالمسؤولية لديهم، وهو ما يعني تخليلهم وبشكل فوري ونهائي عن كافة "أشكال السلبية والتهاون والاستهتار والإسراف".

يقول الكاتب الإنجليزي ماكس ماكونين: "يا له من شيء مؤسف أن تأتينا فرصة عظيمة مثل الكساد.. ثم نضيعها". ▶